

## استئجار الرحم ..

## في ميزان الشريعة الاسلامية والقانون الوضعي



دلخواز عبدالله

الجزء الرابع

## آثار عمليات استئجار الرحم

الفرع الأول: الآثار المترتبة على استخدام الرحم في الحمل لحساب الغير من ناحية الشرعية

أ- في نسب المولود من ناحية الأب  
1- إذا كانت صاحبة الرحم البديل زوجة ثانية لصاحب النطفة

إذا كانت صاحبة الرحم البديل زوجة أخرى لصاحب النطفة كان هو الأب الشرعي للمولود قطعاً لأن النطفة المستخدمة في التلقيح هي نطفته، فالولد من صلبه قطعاً لأنه هو صاحب الفراش الذي ولد فيه الولد، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الولد للفراش" متفق عليه.

2- إذا كانت صاحبة الرحم البديل امرأة ذات زوج:

إذا كانت صاحبة الرحم البديل امرأة ذات زوج فإن نسب المولود يثبت لزوجها، ولا يتبع صاحب النطفة. ودليل ذلك حديث: "الولد للفراش، وللعاشر الحجر"، والأحكام الشرعية مبناها على الظاهر.

ورأى بعض العلماء المعاصرين أن

يرى بعض الباحثين المعاصرين أنه إذا كانت المرأة صاحبة الرحم البديل غير متزوجة، فإن الولد ينسب لزوج صاحبة البويضة المخصبة، وتثبت له كل الحقوق المترتبة على ثبوت النسب، وكل صلات القرابة، وما يترتب على ذلك من المحرمية الثابتة بهذه القربات.

ومما استندوا عليه في ذلك:

أولاً: الترخيب على ما أفتى به فريق من العلماء من صحة نسب ولد الزاني إلى الزاني إذا كانت الزانية غير متزوجة. قالوا: بل ثبوته هنا أولى وذلك لاحترام المائتين حال الإنزال، وحال التخصيب.

ثانياً: الترخيب على ما قاله بعض العلماء من أن النسب يشترط فيه المشروعية أثناء إنزال المنى، ولا يشترط فيه المشروعية أثناء إدخاله في المرأة.

ب: في نسب المولود من ناحية الأم

إذا حدث ووقعت صورة الرحم البديل المتكلم عنها فإن الولد الناتج سينسب إلى صاحبة الرحم البديل لا إلى صاحبة البويضة المخصبة، وسترتب له كل أحكام الولد بالنسبة لأمه، والأم بالنسبة لولدها.

ويدل على ذلك أمور:

أولاً: الآيات القرآنية الكريمة التي دلت بصريح النص أن الأم هي التي تحمل وتلد، وأن التي يتم التخليق في بطنها هي الأم، كقوله تعالى: (وَاللَّهُ أَعْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا...) النحل 78، وقوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَىٰ وَهْنٍ...) لقمان 14، وقوله تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّ كَرُهَا وَوَضَعَتْهُ كُرْهَا) الاحقاف 15، فبين الله تعالى في الآية الأولى أن التي ولدت وخرج منها الجنين هي التي تسمى أمًا، وفي الآية الثانية أن التي تحمل الجنين هي التي تسمى أمًا حقيقة، وينسب لها. وفي الآية الثالثة أن التي تحمل الولد كرهاً وتضعه كرهاً هي أمه.

ونوقش هذا الاستدلال بأن الأم ليست ذات زوج:

الحقيقية على مر التاريخ ووقت نزول القرآن هي مجموعة الهيئة التي هي صاحبة الحمل والوضع وهي ذاتها وفي الوقت نفسه صاحبة البويضة.

فكل مولود له بأمه صلتان: صلة تكوين ووراثية، وأصلها البويضة. وصلة حمل وولادة وحضانة، وأصلها الرحم. فإطلاق الأم على التي حملت ووضعت فقط من غير أن تكون البويضة منها، إطلاق على غير الهيئة الكاملة لها وقت التنزيل.

ثانياً: أثبت القرآن الكريم صفة الأمومة للتي حملت وولدت، بأسلوب يدل على اختصاصها بها، كما في قوله تعالى: (لَا تُضَارُّ وَالِدَةً بَوْلَدِهَا) البقرة 233، والوالدة حقيقة في التي ولدت بالفعل. وكذلك قوله تعالى: (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ) المجادلة 2، حيث صرح تعالى أن الأم هي التي ولدت، وسلك أقوى طرق القصر، وهي: النفي والإثبات، فنفى الأمومة عن التي لم تلد الولد، وأثبتها للتي ولدت.

ثالثاً: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أحدمك بجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغاً مثل ذلك"، فسمى صلى الله عليه وسلم التي يجمع الخلق في بطنها أمًا.

ج: علاقة الولد بالمرأة صاحبة البويضة:

يتفرع على القول بأن الولد ينسب لصاحبة الرحم البديل بحث علاقته بالمرأة صاحبة البويضة، وللعلماء في حكمها قولان:

القول الأول:

أن المرأة صاحبة البويضة وإن لم تكن أمه شرعاً، فإنها ليست بأجنبية عنه، بل هي بمثابة الأم من الرضاع.

وذلك لأن علة التحريم في الرضاع هي: الجزئية، أو شبهتها- كما هو مقرر عند الحنفية-، فأقل ما يقال: إن هذا الولد فيه جزئية من صاحبة البويضة، توجب حرمة الرضاعة.

وممن قال بهذا الرأي: مجمع الفقه

الإسلامي، في دورته السابعة، المنعقدة بمكة المكرمة عام 1404هـ/ 1984م.

القول الثاني:

أنه لا اعتبار للعلاقة بين الولد وبين المرأة صاحبة البويضة، وعملها هدراً، لا تترتب عليه أحكام.

ويتأكد هذا بأن حرمة الزواج بالنساء تحريماً مؤبداً يكون لأحد أسباب ثلاثة:

القرابة أو النسب، أو المصاهرة، أو الرضاع، كما هو مقرر في مذهب الشافعية، ومشهور مذهب المالكية. فالبنوة التي تبني عليها الأحكام هي البنوة الشرعية، وهي منتفية في الحالة السابقة.

وممن ذهب إلى هذا الرأي: الشيخ بدر المتولي عبد الباسط -رحمه الله تعالى-، ومما يقول في ذلك: "ألا ترى أن امرأة ما لو غدت طفلاً رضيعاً بدما بالطرق المعروفة الآن، هل يثبت بين صاحبة الدم وبين هذا الطفل حرمة الرضاع؟ .. والذي أقطع به: أن هذه المرأة لا تتجاوز أن تكون زوجة أب هذا الطفل، أما ما وراء ذلك من تعلق حرمة الرضاع بها بأصولها وفروعها وحواشيتها، فأمر موهوم أكثر مما هو مظنون".

د: في مناقشة القول بثبوت النسب لصاحبة البويضة المخصبة

ذهب بعض العلماء المعاصرين إلى أن النسب في حالة الرحم البديل يثبت لصاحبة البويضة المخصبة، وإلى هذا ذهب القائلون بجواز الحمل عن طريق الرحم البديل، ووافقهم في ذلك القائلون بجوازه في صورة الضرورة.

وفيما يلي ذكر أدلتهم مع ما يرد عليها من ردود ونقاشات:

الدليل الأول:

قالوا: إن القرآن الكريم قد اهتم بالعوامل البيولوجية كأساس لثبوت النسب، حيث ذكر في أكثر من موضع أن الأصل في الإنسان النطفة وأنها أساس تكوينه، كما في قوله تعالى: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) النحل 4، وقوله تعالى:

(فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) الحج 5، وقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) غافر 67، وقوله تعالى: (وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الدُّكْرَ وَالْأُنثَى \* مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى) النجم 45، وقوله تعالى: (أَلَمْ يَكْ نُطْفَةٍ مِنْ مَنِيِّ يُعْنَى) القيامة 37.

فدلّت هذه الآيات أن الإنسان خلق من نطفة، ونقل بعدها أطواراً، إلى أن ولد ونشأ، مما يدل على أن الولد ينسب لصاحبة البويضة التي خصبت بماء زوجها وفقاً للحقيقة البيولوجية التي ذكرها القرآن الكريم.

ونوقش هذا الدليل بأن المأمين إن لم يكونا محترمين حال الإدخال والإخراج أو فيهما، فيصبحان هدراً لا حرمة لهما مطلقاً فالعوامل البيولوجية معتبرة إن كانت في الإطار الذي رسمه الشارع، وهذا الإطار مضبوط في ثبوت النسب بأسبابه: كالفراش والبيئنة، والأم البديلة ليست بفراش لزوج صاحبة البويضة المخصبة.

والمدار كله على اعتبار الشرع، فالزاني وإن كان معلوماً أنه أب بيولوجي للمولود، لكنه ليس بأب شرعي له.

الدليل الثاني:

قالوا: إن المرأة المتبرعة بالحمل لا يستفيد منها الولد غير الغذاء، فأشبه ما يكون بطفل تغذى من غير أمه.

ونوقش هذا الدليل بمنع أن يكون الولد لا يستفيد من المرأة المتبرعة بالحمل غير الغذاء فقد ثبت أن الرحم يؤثر في الصفات الوراثية للجنين، وليس مجرد عامل مساعد كما يدعى، فأثناء نمو البيضة الملقحة يمكن أن تضاف بعض الصفات الوراثية إليها من الأم التي تغذيها عن طريق المشيمة من الرحم فالحمض النووي الذي ينقل الصفات الوراثية ليس موجوداً في نواة الخلية فقط، وإنما في سيتوبلازم الخلية، وهذا الجزء من الحمض يتأثر بالبيئة المحيطة به أثناء نمو الجنين في الرحم، فالأم المستأجرة تضيف بعض الصفات الوراثية على الجنين.

## بالحنان تواصل مع طفلك

يبدأ التواصل مع الرضيع منذ لحظة الولادة بل قبلها، فعند رؤية الطفل لأول مرة تنشأ بين الأم والطفل علاقة من نوع خاص تتسم بالحميمية والدفء، ويؤكد الخبراء إلى أن هذه اللغة يجب أن تفهمها وتستثمرها كل أم حتى أثناء الرضاعة الطبيعية.

ويشير الأطباء إلى أن الطفل يشعر بالغربة، بعد ولادته ويعبر عن ذلك بالبكاء، لذلك يفضل حمله على الجانب الأيسر حتى يسمع ضربات قلب الأم ويشعر بالحب والحنان، حيث أكدت دراسات سيكولوجية حديثة أن حنان الوالدين وخاصة الأم، وملاستها الدائمة لطفلها، وضمه إلى صدرها ومداعبة وتديلوك جسمه بحنان تعزز نمو الطفل ونكاهه وحيويته.

وتشير الدراسات إلى أن ملامسة الطفل ومداعبته الدائمة تحفز جهازه العصبي المركزي أو تساعدان على إفراز هرمونات معينة شبيهة بمادة الانسولين، التي من شأنها زيادة نموه الجسدي والعقلي، ويحدد الباحثون الشهرين والثمانية والأثني عشر الأولى من عمر الطفل كمرحلة



كما تؤثر الرضاعة الطبيعية في حماية الأم من الحمل السريع بعد الولادة ولها أهمية كبرى بالنسبة للأم وتساعد على عودة الرحم لوضعه الطبيعي، ويجب أن تكون مدة الرضاعة الطبيعية من 10 إلى 20 دقيقة يأخذ فيها الطفل كفايته من

الرضاعة الطبيعية حيث أن الابتسامة لها دور فاعل على الطفل في هذه الأثناء لأنها تجعل العلاقة بين الأم وطفلها علاقة قوية، لذا يحذر الأطباء من إرضاع الطفل في حالة الضيق أو التوتر أو العصبية لما لها تأثير على الطفل.

مهمة في تطور المخ والمهارات المختلفة والمدارك والتكيف الاجتماعي.

الرضاعة الطبيعية

تشير اختصاصية طب الأسرة الدكتورة سحر إسماعيل إلى أهمية لغة العيون بين الأم وطفلها أثناء

الحليب والشبع.

وينصح بعدم إقدام الأم على الرضاعة أثناء النوم لأن ذلك قد يجعل الأم تتسبب في وفاة طفلها دون أن تتعمد وذلك يقع بكم أنفاس الطفل في أثناء الرضاعة.

مواهب إدراكية

وأكدت د. مارجريت ريدشو خبيرة سلوكيات ونمو الاطفال البريطانية " أن الطفل يولد بمهارات ادراكية للتواصل مع العالم من حوله، فطرق بكاء الطفل المختلفة وتعبيرات وجهه وتحركاته كلها ارشادات تنبه الأم لما يريد ويشعر به، فقد يكون جائعاً أو يريد تغيير ملابسه أو خائفاً أو يشعر بألم، إلا أن الأم سرعان ما تفهم هذه الإرشادات وتفترق بينها عند تعاملها معه، فالطفل عندما يصل عمره إلى 6 شهور يحاول جذب انتباه المحيطين به، من الاطفال الذين يجرمون من مشاعر الامومة الدافئة غالباً ما يعانون من مشكلات خاصة بالتطور الوجداني، ومن الممكن ان تؤثر علي قدراتهم مدي الحياة.

استجابة فورية

ولفهم طبيعة طفلك والتواصل جيداً مع نداءه عليك الاستجابة فوراً عندما ليشر بالراحة والطمأنينة عن طريق الأتي:

- استجبي لبكاء طفلك في أسرع وقت وامنحيه الشعور بالاطمئنان وأنه يجده عند الحاجة لك.

- اتركي له الوقت الكافي للنظر والتتمعن في وجهك، فالأطفال حديثو الولادة يرون بوضوح من على بعد 20-25 سم، حتى يقوى البصر مع مرور الزمن.

- امنحيه فرصة تهدئة نفسه، وذلك بالإمسك بشيء ما حوله أو بالأصابع وبالتالي سيكتسب ثقة أكبر بإمكانياته.

- تجاوبي مع طفلك فأنت تعلمين، مدى أهمية المشاعر والأحاسيس عند استجابته لك عندما يبكي أو عندما تبتهسين لابتسامته وحتى عندما يحاول أن يصدر ذلك الصوت الخافت الذي يشبه "هديل الحمام" وكذلك تهدئته عندما يكون منزعجاً من شيء ما.

من الانترنت  
الموقع: هداية نت